النظـــــام الأخلاقـــــي في الســـــيرة النبويـــــة

د. صباح خضر أحمد عبد الحي•

الملخـــص

تجئ أهمية هذه الدراسة – النظام الأخلاقي في السيرة النبوية – من حيث ارتباطها بالبنية التشريعية والعقدية للدين الإسلامي، قرآناً وسنة، فالسنة زاخرة بالأخلاق الكريمة والآداب العالية التي ترسم للناس قيم الخير والشر، وترسخ معاني التعاون مع الآخرين، الأمر الذي جعل المجتمع المسلم وثيق الصلة بالخالق والمخلوق، لذا هدفت هذه الدراسة لتبين أن دعوة الإسلام دعوة أخلاقية لها طابع إلهي وطابع إنساني مرتبط بالسلوك الذي يعبر عن القيم فهي إذن روح الإسلام. كما توضح الدراسة أن الأخلاق هي أساس الفلاح والنجاح وتؤثر في تشكيل وبناء شخصية الفرد وبناء المجتمعات الإنسانية. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي والاستنباطي التحليلي. أهم ما توصلت إليه الدراسة هو أن النظام الأخلاقي الإسلامي له خصائص إيجابية ووسطية ومثالية شاملة وواضحة. وإن أهم وسائل تنمية الأخلاق هي الأسرة والتعليم المدرسي والمسجد ووسائل الإعلام إذا وجهت وجهة صحيحة. أهم ما يوصي به الباحث هو لفت نظر القائمين على أمر التربية في كل مراحلها (آباء ومعلمون ووزارات التربية والتعليم وحكومات) باتباع النظام الأخلاقي الذي وصفه الإسلام، وعلى مستوى الأفراد يوصي بالالتزام بالسلوك الأخلاقي الذي دعا له الإسلام لما فيه من فوائد وثمرات تعود عليهم في الدنيا والآخرة.

• أستاذ مشارك – معهد إسلام المعرفة –جامعة الجزيرة –ود مدني – السودان.

Abstract

The importance of this study – the ethical system in the prophet`s biography – stems from its connection with the legislative and doctrinal structure of the Islamic religion, both the Qur`an and the Sunnah. The Sunnah is full of decent morals and high morals that draw people the values of good and evil, and entrench the meanings of cooperation with others. The relationship with the creator and the creature. Therefore, this study aimed to show that the call to Islam is an ethical call that has a divine character and a human nature linked to behavior that expresses values, so it is the spirit of Islam. The study also clarifies that ethics are the basis for prosperity and success and affect the formation and construction of the individual`s personality and the building of human societies. The study followed the analytical descriptive and deductive approach. The most important finding of the study is that the Islamic moral system has clear, positive, intermediate and ideal characteristics that are comprehensive and clear. The most important means of developing morals are the family, school education , the mosque, and the media, if a correct approach is directed. The most important thing that the researcher recommends is to draw the attention of those in charge of education in all its stages (parents, teacher, ministries of education and governments) to follow the ethical system described by Islam , and at the level of individuals it recommends adhering to the ethical behavior that Islam calls for because of the benefits and fruits that will accrue to them in this world. And the hereafter.

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمدصل الله عليه وسلم نسليما كثيرا، ثم أما بعد:

تتبوأ الأخلاق الإسلامية مكانة عالية ومنزلة رفيعة عظيمة حظيت بها من الباري الخبير سبحانه وتعالى وجسدها قولاً وفعلاً المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى نعته الله تعالى بأجمل الأوصاف فقال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم ﴾ . وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن)، ولقد كانت العرب أحسن الناس أخلاقاً بما بقي عندهم من الشرائع السابقة ولكنهم ضلوا بالكفر عن الكثير منها وبقيت عندهم آثار من هذه الفضائل، فجاء الإسلام لا ليهدم هذه الفضائل الخلقية ولكن ليتبني كل الفضائل المعروفة وغير المعروفة لديهم ويوازن وينسق بينها، ويقلد كل فضيلة المكانة اللائقة بها ضمن رسالته الكاملة الصالحة والمصلحة للحياة البشرية كآفة.

فهناك علاقة العقيدة بالأخلاق، وعلاقة الشريعة بالأخلاق، وعلاقة السلوك بالأخلاق، وعلاقة الضمير بالأخلاق، وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم على أهمية الأخلاق وإقامتها في التعامل مع الخالق جل وعلا ثم التعامل مع المخلوق، سواء كان الإنسان وغيره من الناس، أو الإنسان ونفسه، أو الإنسان وغيره من الكائنات الأخرى، فكان قوله صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

أسباب اختيار البحث:

ومن أسباب اختيار هذا الموضوع: أننا نعيش في هذا الزمان أزمة أخلاقية حقيقية، فهذه الدراسة محاولة بذل الجهد لرد أخلاق هذه الأمة إلى الأخلاق التي نادى بها القرآن الكريم في كثير من الآيات وإلى التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام. ولأن النبي صلى الله عليه وسلم وجهنا إلى الأخلاق

الفاضلة التي يجب أن تتحلى بها الأمة المسلمة حتى تؤدي دورها المنوط بها في قيادة الأمم يوم القيامة.

مشكلة البحث :

- تجيب الدراسة على التساؤلات الآتية
- ما تعريف الأخلاق وأهميتها في الإسلام؟
- ما أسس وخصائص الأخلاق في الإسلام؟
- ما ضوابط المنهج الأخلاقى في الإسلام وثمراته ؟
- هل للقيم الإسلامية ارتباط ببناء شخصية الفرد وانعكساتها على المجتمع؟
- ما الكيفية التي تنمي بها الأخلاق في الإسلام؟

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى الآتي:

- تبيين ماهية الأخلاق.
- تبيين أهمية الأخلاق وأسسها وخصائصها في الإسلام.
- التعريف بضوابط النظام الأخلاقي وثمراته في الإسلام.
- توضيح دور القيم الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع.
- تسليط الضوء على وسائل ووسائط تنمية الأخلاق في الإسلام.

أهمية البحث (النظام الأخلاقي):

- في أنه مرتبط بالبنية التشريعية والعقدية للدين الإسلامي.
- ولأن دعوة الإسلام دعوة أخلاقية مؤسسة ومبنية على الخلق، وله طابع إلهي – فالعبادات كلها مرتبطة بحسن الخلق، وطابع إنساني حيث أن مظاهر السلوك الإنساني تعبر عن القيم، لذا تعد الأخلاق روح الإسلام.
- لأن الأخلاق أساس الفلاح والنجاح، وتؤثر في تشكيل وبناء شخصية الفرد

والجماعة وأساس بناء المجتمعات الإنسانية.

- تجيب الدراسة على التساؤلات الآتية
- ما تعريف الأخلاق وأهميتها في الإسلام؟
- ما أسس وخصائص الأخلاق في الإسلام؟
- ما ضوابط المنهج الأخلاقى في الإسلام وثمراته ؟
- هل للقيم الإسلامية ارتباط ببناء شخصية الفرد وانعكساتها على المجتمع؟
- ما الكيفية التي تنمي بها الأخلاق في الإسلام؟

منهج الدراسة:

المنهج الوصفي الاستنباطي والتحليلي.

بالنسبة للدراسات السابقة فهنالك الكثير من الدراسات التي تناولت الأخلاق وأهميتها فمثلاً كتاب (الأخلاق في الإسلام) تأليف عدد من المؤلفين منهم د. كايد قرعوش تناولوا نماذج من الموضوعات الخلقية الفاضلة وفصلوا فيها كثيراً. وكتاب (موسوعة أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم) إعداد محمود المصري أبو عمار وهذا مرجع جيد تناول فيه المؤلف أهمية الأخلاق ووسائل ووسائط تنمية الأخلاق، ويتفق الباحث في جزء منها لكن وجه الاختلاف بينهما أن هذه الدراسة تتعرض إلى أهمية الأخلاق كنظام في بناء الفرد والمجتمع المسلم والإسلامي وضوابط المنهج الأخلاقي الإسلامي والثمرات والفوائد التي يجنيها المسلم من اتباع هذا النظام. أما بالنسبة لهيكل البحث فإنه يتكون من مقدمة يذكر فيها الباحث أهمية الموضوع وأسباب أختياره، وأهدافه، وتساؤلات البحث ومنهج الدراسة، والدراسات السابقة، وخمسة مباحث بمطالبها وهي كالآتي:

المبحث الأول: تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً وأهمية الأخلاق والإسلام.

المبحث الثاني: أسس وخصائص الأخلاق في الإسلام.

المبحث الثالث: ضوابط المنهج الأخلاقي في الإسلام وثمراته.

المبحث الرابع: أهمية القيم الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع المسلم.

المبحث الخامس: وسائل ووسائط تنمية الأخلاق الإسلامية.

وأخيراً خاتمة يذكر فيها الباحث أهم نتائج البحث وتوصياته وفهرس للمصادر والمراجع.

المبحث الأول

تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً وأهمية الأخلاق في الإسلام

المطلب الأول

تعريف الأخلاق لغة واصطلاحاً

الأخلاق في اللغة:

جمع خُلق "بسكون اللام وضمها" لفظ يطلق على الطبع والسجية، والخُلق اسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خُلق عليها، وهو ماخوذ من مادة " خ ل ق " وهو يشمل صورة الإنسان الباطنية، مثلما يشكل الخَلْق "بفتح الخاء وسكون اللام" صورة الإنسان الظاهرة[١]. والخَلْقُ والخُلْق في الأصل واحد كالشَّرْب والشُّرْب، لكن خص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال المدركة بالبصر، وخص الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة، والخَلاق ما اكتسبه الإنسان من الفضيلة بخُلُقه[٢].

مما تقدم يظهر أن الخلق في اللغة هو الطبع والسجية وهذا يدل على أنه من الصفات الطبيعية للإنسان على هيئة صحيحة مستقيمة متناسقة.

تعريف الأخلاق اصطلاحاً:

يعرفها ابن مسكوية بأنها (حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر أو رؤية)[٣].

ويعرفها حجة الإسلام أبو حامد الغزالي بأنها (هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية)[٤]. أي أن صدور الفعل على هذه الهيئة يكون بسهولة ويسر من غير تكلف ورؤية، فمن تكلف ببذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد ورؤية لا يقال خلقه السخاء والحلم.

قال الجاحظ (إن الخُلُق هو حال النفس، بها يفعل الإنسان أفعاله بلا رؤية ولا اختيار، والخُلُق قد يكون في بعض الناس غريزة وطبعاً، وفي بعضهم لا يكون

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، مادة خلق، ص ٢، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢م.
(٢) الراغب الاصفهاني، القاسم الحسين بن محمد: المفردات من غريب القرآن، ص ١٥٨، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٨م.
(٣) ابن مسكويه، أحمد: تهذيب الأخلاق، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ص ٣٦، بدون.
(٤) الغزالي، محمد بن محمد الطوسي: احياء علوم الدين، ص ٦٨/٣، القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، ١٩٦٧م.

الاّ بالرياضة والاجتهاد، كالسخاء قد يوجد في كثير من الناس من غير رياضة ولا تعلم، وكالشجاعة والحلم والعفة والعدل وغير ذلك من الأخلاق المحمودة)[١].

وقال الجرجاني (الخُلُق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسر من غير حاجة إلى فكر ورؤية، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خُلُقاً، وإن كان الصادر من الأفعال القبيحة سميت الهيئة، التي هي مصدر ذلك خُلُقاً سيئاً، وإنما قلنا إنه هيئة راسخة لأن من يصدر منه بذل المال على النذور بحالة عارضة لا يقال خُلُقه السخاء ما لم يتثبت ذلك في نفسه)[٢].

من التعريفات أعلاه لابد إذن في الخلق من صدور الفعل بصورة تلقائية عفوية لا تخضع للحساب والمراجعة وتقليب الرأي.

فمثلاً تعريف الغزالي وقوله: (من غير تكلف) أي أن غاية ما يريده إن هنالك فرقاً بين الخُلُق والتخلق وبين الطبع والتطبع، فيكون التكلف في هذه الحالة سبيلاً لاكتساب الخلق، وكما ورد في الحديث (إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم)[٣] وفي ذلك يورد الغزالي حكاية عن بعضهم أنه كان يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب، فكان يستأجر من يشتمه على ملأ من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له[٤]. يتضح من كل هذا تحديد معنى الأخلاق حتى نميز بين الأخلاق وغيرها من صفات النفس، وبين الأخلاق التي هي صفة مستقرة في النفس (فطرية) وبين الأخلاق المكتسبة، فالأولى (خُلُق) والثانية (تخلق). والأولى تصدر عن السجايا والطبائع الأصيلة الثابتة في قرارة النفس. يقول عبد الرحمن حبنكة في كتابه الأخلاق الإسلامية (أنه ليس كل ما يصدر عن النفس يعد من الأخلاق الفطرية، بل إن منها غرائز ودوافع نفسية لا صلة لها بالأخلاق على

(١) تهذيب الأخلاق، للحافظ ، توثيق.
(٢) الجرجا ني،علي بن محمد بن علي، ص ١٠٤، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.
(٣) رواه أحمد في مسنده ٦٣/٣، الترمذي في سننه ضمن حديث طويل بالرقم ٢١٩٢ وهو حديث ضعيف، لكن له طريق آخر يتقوى به، أخرجه الخطيب البغدادي.
(٤) الغزالي، مرجع سابق، احياء علوم الدين، ٨/٣.

الاطلاق، فليست الغرائز التي تعارف عليها علماء النفس كالأكل والشرب والميل للجنس الآخر والخوف من قبيل الأخلاق، بل هي غرائز ودوافع مع أنها تصدر عن النفس استجابة لحاجة الجسم، أو غرائز النفس الفطرية، والذي يميزها عن الأخلاق هو آثارها في السلوك قابلة للمدح أو الذم، وبذلك يتميز الخلق عن الغريزة ذات المطالب المكافئة لحاجات الإنسان الفطرية، فالصفة الخُلُقيَّة، المستقرة في النفس إذا كانت حميدة كانت آثارها حميدة، وإن كانت ذميمة كانت آثارها ذميمة)[1].

وهذا ما يوافق قول الجاحظ ويتفق الباحث معهما أن الخُلُق في بعض الناس طبعا وهذه لا تتغير فهي سجيته التي خلقه الله بها، ومنها خُلُق مكتسب يحتاج إلى رياضة وممارسة وتعويد حتى تصير جزء من شخصية الفرد.

وقسمت لنا د فاطمة نصيف الأخلاق في الأتى:

إن للأخلاق ثلاث معانى بارزة: **الأول** يدل على الصفات الطبيعيةفي خلقة الإسلام الفطرية على هيئة مستقيمة.

و**الثانى**: تدل الأخلاق على الصفات التي اكتسبت وأصبحت كأنها خلقت مع طبيعته وهذه الأخلاق المكتسبة.

والثالث: أن للأخلاق جانبين: جانباً نفسياً باطنياً، وجانباً سلوكياً ظاهراً.

فكل خلق فطرى أو مكتسب له ظواهر قي السلوك تدل عليه لكنها دلالة ضمنية وليست قطعية ،فقد يمارس الإنسان سلوكا ليس من طبيعته، ولا من خلقه كما يفعل المنافقون ،وقد يكون تخلقا وتطويعا للنفس وترويضا لها على مكارم الأخلاق ،فالعلم بالتعلم ،والحلم بالتحلم ،والصبر بالتصبر[2].

(١) حبنكة،عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية، ٧/١، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٧٩م.

(٢) هامش أخلاقنا في الميزان ، د فاطمة عمر نصيف،ص١٦،دار المحمدى للنشر والتوزيع، جدة، حي الجامعة، ط١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠١م.

المطلب الثاني

أهمية الأخلاق في الإسلام

إن الأخلاق في نظر الإسلام عبارة عن مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.

وأهمية الأخلاق تأتي من منطلق علاقتها ببناء الشخصية الإنسانية، ومن المعلوم أن الأخلاق تمثل صورة الإنسان الباطنة، وهذه الصورة هي قوام شخصية الإنسان، فلا يوزن بلونه أو طوله أو عرضه أو جماله إنما بأخلاقه وأعماله المعبرة عن هذه الأخلاق. قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صدوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم واعمالكم)[1]. وقد عبر القرآن عن أن الأخلاق تهذب النفس وتزكيها باطناً وظاهراً قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى: ١٤-١٥].

كذلك أهمية الأخلاق تأتي من منطلق ارتباطها بالبنية التشريعية والعقدية لهذا الدين، فالشريعة كما معروف منها العبادات والمعاملات. فمثلاً في العبادات يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (أتدرون ما المفلس؟ قالو المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا،وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن قضي عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار)[2] فنلاحظ كيف ربط النبي صلى الله عليه وسلم العبادة بالأخلاق، فالعبادة إذا عريت عن الأخلاق لاتغني عن صاحبها شيئاً.

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى ،تحقيق د مصطفى ديب البغا ، جامعة دمشق دار ابن كثير ،اليمامة، بيروت ، ١٩٨٧م ١٤٠٧ه ، في الفرائض، باب تعليم الفرائض، صحيح مسلم،أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى،،دار الجيل، بيروت ،ودار الأفاق الجديدة ،بيروت (بدون) كتاب في البر و الصلاة، باب تحريم الظن و التجسس.

(٢) أخرجه مسلم في البر، باب تحريم الظلم، حديث رقم ٢٨٥١.

أما بالنسبة إلى علاقة الأخلاق بالمعاملات فيدل عليه قول صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم)[1].

أيضاً أهمية الأخلاق تأتي من منطلق علاقتها ببناء الأفراد والمجتمعات وهذا ما سنتناوله تفصيلاً في المبحث الرابع (أهمية القيم الأخلاقية في بناء الفرد والمجتمع المسلم).

(١) سنن الترمذي،ابو داود سليمان بن الأشعث السجستانى ،دار الكتاب العربى ،بيروت، بدون ، باب الايمان، حديث رقم ٩٢٦٢.

المبحث الثاني

أسس وخصائص الأخلاق في الإسلام

المطلب الأول

أسس الأخلاق

إن بناء الأخلاق يقوم ويستند على عدة أسس أهمها:

١. الأساس العقدي الايماني:

فهنالك الكثير من الآيات والأحاديث التي تدعو للقيم الأخلاقية والتمسك بها منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١١-١٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١].

وأن بناء الأخلاق على هذا الأساس ضمان لثبات الأخلاق واستقرارها، وهي ثمرة طبيعية لهذه العقيدة.

ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[١]، وقال عليه السلام: (لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن)[٢]. بمعنى أن الإيمان هو الذي يمنع صاحبه من مثل هذه الأفعال.

(١) اخرجه مسلم في الايمان، باب الحث على إكرام الضيف، حديث رقم ٤٨.
(٢) اخرجه البخاري في المورد، باب الزنا وشرب الخمر، ومسلم في الايمان، باب نقصان الايمان بالمعاصي.

وذكر الشيخ محمد شلتوت في كتابه الإسلام عقيدة وشريعة على هذا المعنى بقوله: (إن العقيدة دون خُلق شجرة لا ظل لها ولا ثمرة، وإن الخُلق دون عقيدة ظل لشيح غير مستقر)[١].

فالأساس العقدي له تأثير كبير في بناء الأخلاق والتربية، فقد عقد في انجلترا عام ١٩٠٧م مؤتمر للتحقيق الدولي في التربية الأدبية، اشترك فيه أكثر من (٧٠٠) من مشاهير العلماء والفلاسفة ورجال الأدب والسياسة، وقد أجمع المؤتمرون على أنه لا يمكن الإحاطة بمواضيع التربية الأخلاقية دون الرجوع إلى الوازع الديني[٢].

٢. الأساس العلمي:

يشكل العلم أساساً آخر من أسس التربية، فالعلم هو رديف الايمان وخادمه، وقد أشار القرآن لذلك في كثير من الآيات، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، فالعلم يحوط الأخلاق ولا ينفك عنها فالآيات تشير إلى تزكية النفس وتهذيبها وتطهيرها بالأخلاق الطيبة، وقد جاءت وسطاً بين تلاوة القرآن وبين تعليمهم الكتاب والحكمة.

ومن أقوال الفلاسفة ما حكاه سقراط إذ قال: (الفضيلة معرفة والرزيلة جهل) وقوله: (الفضيلة رفيقة الحكمة) ويقول ديكارت: (إن الأخلاق لا يمكن إدراكها، إلاّ بعد الكشف عن جميع أجزاء العلم وإنه ينبغي اعتبار علم الأخلاق كأكليل لغيره من العلوم)[٣].

وهنالك نماذج في حياتنا اليوم وشواهد تبين القيم الخلقية وارتباطها بالعلوم المختلفة، يؤكد علم الطب أهمية قيمة العفه وخطورة الزنا والشذوذ الجنسي على

(١) محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، بيروت، دار الشروق، ط١٦، ١٩٩٢م.
(٢) د. مقداد يالجن: التربية الأخلاقية الإسلامية، ص ٢١٨، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون.
(٣) مقداد يالجن، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

الجنس البشري، فما مرض الايدز الاّ ثمرة للعلاقات الجنسية غير المشروعة المنافية للخلق القويم، وفي علم مصطلح الحديث الذي يدعو إلى التحقق من صحة الرواية وإلى الأخذ بمعايير المقارنة والترجيح بين النصوص دون الحكم على الأشخاص والأحداث ومعه علم الجرح والتعديل الذي يعمل بدقائقه في تقصي السند (رجال الحديث) من جوانب كثيرة وبعدها الأخذ بأحاديثهم.

٣. الأساس الجزائي:

الجزاء لفظ يرد على معنيين متناقضين هما الثواب والعقاب، وقد ورد لفظ (جزئ) في القرآن الكريم بالمعنيين في آيات كثيرة، بالنسبة للثواب قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٤]. وفي معرض العقاب قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧].

والجزاء قد يكون دنيوياً أو أخروياً، وللترغيب والترهيب ودورهما البارز في حمل الناس على التمسك بخلق معين أو النفور من آخر، والشواهد كثيرة منها قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

المطلب الثاني

خصائص الأخلاق الإسلامية

تتميز الأخلاق الإسلامية بجملة من الخصائص والسمات منها:

١. الايجابية:

الأخلاق في الإسلام أخلاق إيجابية، ونجد هذه الايجابية تتمثل في الحث على الفضائل أو في النهي عن الرزائل فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح. أن الأخلاق في الإسلام تسمو بالفرد والمجتمع نحو المكارم وتنأى بالإنسان عن كل ماينزل بقدرة كونة خليفة الله في الأرض، فهي تستثير دوافعه للعمل واستغلال الوقت والعطاء والبذل والتضحية والانفاق على المستوى الاجتماعي كما تدعو الفرد إلى الطهر والغنى والاخلاص والاستقامة والبعد عن اللغو والرفث (هذا ما سنتناوله في المبحث الخاص بأهمية الأخلاق في بناء الفرد والمجتمع).

لكن نلاحظ أن المسلمين اليوم ضعفت استجابتهم لهذه الأخلاق حتى كأنما خلقت لغيرهم، وبات الغرب أكثر حرصاً على الالتزام بالأخلاق العملية وهذا يذكرنا بمقولة الإمام محمد عبده حينما زار الغرب وقد سئل عن انطباعاته عن تلك المجتمعات: فقال: (لقد وجدت الإسلام ولم أجد المسلمين، أي يعني النظام والصدق والتسارع لفعل الخير وتقديم المساعدات التي تقدمها الدول غير المسلمة في العالم لكل الكوارث، (الاغاثات المختلفة)).

٢. الوسطية:

تعني كما ذكر القرضاوي: (التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه ويطغى على مقابله ويحرص عليه)[١].

ومن مظاهر هذه الوسطية:

(١) د. يوسف القرضاوي: الخصائص العامة للإسلام، ص ١٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

- توسط الإسلام في نظرته إلى متطلبات الحياة الدنيا والحياة الآخرة، ما بين فريق ينادي بالعزوف عن الحياة الدنيا وملذاتها وفريق يعتبر الدنيا غاية المنتهي، قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].
- كذلك توسط في الانفاق فجعل الفضيلة وسطاً بين الاسراف والتقتير قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقد ذكر الغزالي أن أمهات الفضائل أربع الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة:

أما **الحكمة:** فهي وسط بين رزيلتين: الخب والبله، والخب هو طرف إفراطها، وهو حالة يكون فيها الإنسان ذا مكر وحيلة، والبله هو طرف تفريطها، وهي حالة منشؤها بطء الفهم وقلة الاحاطة بصواب الأفعال.

الشجاعة: فهي وسط بين رزيلتي التهور والجبن، فالتهور إفراط، فهو حالة يقوم بها الإنسان على الأمور المحظورة التي يجب على العقل الاحجام عنها، والجبن تفريط، وهو حالة تصرف عن الاقدام حيث يجب الإقدام.

العفة: فهي وسط بين رزيلتي الشره والخمود، والشره إفراط في الشهوة، يتمثل في المبالغة في تحصيل اللذات التي يستقبحها العقل وينهي عنها الشرع، والخمود تفريط في تحصيل الشهودة التي يقتضي العقل والشرع تحصيلها.

العدل: وأما العدل في المعاملة فهي وسط بين الغبن والتغابن، فالغبن إفراط يدعو أن يأخذ الإنسان ما ليس له، والتغابن تفريط يدعو أن يُعطى ما ليس عليه حق وأجر[١].

٣. الشمول:

إن دائرة الأخلاق تغطي جميع شوؤن الحياة، العقيدة كالإخلاص والصدق بعيداً عن الرياء، والمعاملات في البييع والشراء والتي تقوم على قاعدة حلقية كبيرة

(١) انظر ميزان العمل، محمد بن محمد الغزالي، ص ٥٥ – ٦٠، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٣م.

وهي قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فلا ربا ولا احتكار ولا غرر ولا غش في الاقتصاد الإسلامي، فالمعاملات التي فيها تبادل منافع تقوم على التراضي قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية "ينهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن ياكلوا أموال بعضهم بعضاً بالباطل أي بأنواع المكاسب التي هي غير شرعية كأنواع الربا والقمار، وما جرى مجرى ذلك من سائر صنوف الحيل وإن ظهرت في غالب الحكم مما يعلم الله أن متعاطيها إنما يريد الحيلة على الربا"(١). فالإلتزام بالأخلاق في المعاملات تكون سبباً لعفو الله ومغفرته، عن حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم أتى بعبد من عباده آتاه الله مالاً، فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ قال: يارب آتيتني مالك، فكنت أبايع الناس، وكان من خُلُقي الجواز، فكنت أتيسر على المؤسر وأُنظر المعسر. فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي"(٢). إذن التربية الإسلامية تحرص على تنشئة إنسان ذو سلوك أخلاقى وفقا للقيم التي جاء بها الدين الإسلامى الحنيف ،فهى واقعية وتتصف بالإنسانية الإجتماعية وقابليتها للممارسة.

أما الأخلاق في المجتمعات الغربية ففيها من المرونة ما يسمح بتعديلها أو العدول عنها، فمثلا فضيلة العفة لم تعد هاجس المجتمعات الغربية في ظل نظامهم الاجتماعي القائم على سياسة الأخدان. كذلك الوفاء بالعهود يغدو لا معنى له إذا تعارضت هذه القيمة الخلقية مع المصالح السياسية للدول الغربية(٣)، هذا يعني أن الأخلاق تدور مع المصلحة والأهواء، غير ثابتة، أما الأخلاق الإسلامية تمتاز بصفة

(١) أبو الفداء اسماعيل، تفسير القرآن العظيم ٤٧٩/١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩م.
(٢) اخرجه البخاري، كتاب البيع، حديث صحيح رقم ٢٠٧٧، ومسلم كتاب المساقاة، من حديث حذيفة، حديث رقم ١٥٦٠.
(٣) د. كائد قرعوش، الأخلاق في الإسلام وآخرون،ص ٥٧، دار المناهج، عمان، الأردن، ط٤، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٦م.

الثبات. وكذلك تمتاز الأخلاق الإسلامية بالمثالية وهي تتجلى في دعوتها الإنسان إلى التسامي والتشبة بالملائكة الأطهار حيثما وجد إلى ذلك سبيلاً، ومن مظاهر الجمع بين الواقعية والمثالية ما يلي:

- تطبيق مبدأي العدل والإحسان في مجال العقوبات، انسجاماً مع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠]، والعدل يعني المساواة في الفعل والاعتبار، وبموجبه يحق للمعتدي عليه أن يقتص من المعتدي تسكيناً لشهوة الانتقام والغضب، وهذا تشريع دافعي يراعي الفطرة الإنسانية وما فيها من دوافع، ومع ذلك يدعو الإسلام إلى العفو والصفح مَّنهَ وتكرماً، ومن هنا ورد قوله تعالى: ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ [الشورى: ٤٠]. والشريعة راعت الفروق بين الناس في الالتزام بأحكام الدين وذلك في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]، لكنه مع ذلك قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦]، وهذا يعبر عن حقيقة ما هنالك من فروق في القدرة على الالتزام الاخلاقي بين الناس، فإن الخطأ متوقعاً من كافة الناس البر والفاجر وليس هنالك من معصوم، لكن شأن المؤمن أن يتوب ويستغفر على ما فرط، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

المبحث الثالث

ضوابط المنهج الأخلاقى الإسلامى وثمراته

المطلب الأول

ضوابط المنهج الأخلاقي الإسلامى

إن الأخلاق الإسلامية التي دعا إليها القرآن والسنة ليست من النوافل أو زينة خارجية يتحلى بها المرء إن شاء ويدعها متى شاء، بل هي من صميم الأعمال وجليل الفعال التي يترتب عليها عظيم الثواب أو شديد العقاب كما أشرنا في مطلب أسس الأخلاق، يقول د. عبد القادر عودة: (تعتبر الشريعة الأخلاق الفاضلة أولى الدعائم التي يقوم عليها المجتمع، ولهذا فهي تحرص على حماية الأخلاق وتتشدد في هذه الحماية بحيث تكاد تعاقب على كل الأفعال التي تمس الأخلاق. أما القوانين الوضعية فتكاد تهمل المسائل الأخلاقية إهمالاً تاماً. ولا تعنى بها الاّ إذا أصاب ضررها المباشر الأفراد أو الأمن أو النظام العام. فلا تعاقب القوانين الوضعية مثلاً على الزنا الاّ إذا أكره أحد الطرفين الآخر، أو كان الزنا بغير رضاه رضاءً تاماً، لأن الزنا في هاتين الحالتين يمس ضرره المباشر الأفراد كما يمس الأمن العام. أما الشريعة فتعاقب على الزنا في كل الأحوال والصور لأنها تعتبر الجريمة تمس الأخلاق، وإذا فسدت الأخلاق فسدت الجماعة وأصابها الأنحلال وقل مثل ذلك في سائر العقوبات التي قررتها الشريعة لحماية الأخلاق وصيانه المجتمعات. فالشريعة تعاقب على مجرد شرب الخمر (سكر الشارب أو لم يسكر) لأنها تنظر إلى الجريمة من الوجهة الخلقية التي تتسع كما نعلم لشتى المناهي والاعتبارات، فإذا صينت الأخلاق فقد صينت الصحة والأموال والدماء والأعراض وحفظ الأمن والنظام)[1].

ويعلل عبد القادر عودة ذلك بقوله: (والعلة في اهتمام الشريعة بالأخلاق على هذا الوجه، أن الشريعة تقوم على الدين، وإن الدين يأمر بمحاسبة الأخلاق

(١) انظر التشريع الجنائي: عبد القادر عودة، ١/٧٠، مكتبة دار العروبة،ط٢، القاهرة، ١٩٦٤م.

ويحث على الفضائل، ويهدف إلى تكوين الجماعة الصالحة الخيرة، ولما كان الدين لا يقبل التغيير والتبديل، ولا الزيادة والنقص، فمعنى ذلك أن الشريعة ستظل ما بقي الدين الإسلامي حريصة على حماية الأخلاق، آخذة بالشدة من يحاول العبث بها)[١].

وفي كتاب أخلاقنا في الميزان تقول د. فاطمة: (أن من طبيعة الإنسان أنه يخشى ويرجو، وهو لا يأتي أي عمل إلاّ بقدر ما ينتظر من منافعه، ولا ينتهي من عمل إلاّ بقدر ما يخشى من مضاره، وطبيعة الإنسان تلازمه في الخير والشر، في الأعمال المباحة والأعمال المحرمة، فلا يرتكب الجريمة إلاّ لما ينتظره منها من لذة أو منفعه، ولا ينتهي عن الجريمة إلاّ لما يخشاه من مضارها)[٢].

فإذا قارنا الشريعة بالقوانين الوضعية نلاحظ أن الأخيرة لا تقوم على أساس من الدين، بل أهملت المسائل الأخلاقية فمثلاً تنفي المادة ٣٣٩ من قانون العقوبات الفرنسي على أن الزوج الزاني لا يعاقب إلاّ إذا زنى غير مرة في منزل الزوجية بإمرأة أخرى أعدها لذلك (أي اتخذها خدناً أو عشيقة) أما عقوبته فهي غرامة مالية تتراوح بين ١٠٠ (مائة) فرنك أو ٢٠٠٠ (ألفي) فرنك، على حين أن المادة ٣٤٠ من نفس القانون تعاقب الزوج الذي يعقد زواجه بأخرى قبل انحلال الزواج الأول بالأشغال الشاقة !!. وبهذا نرى القانون الفرنسي يشدد غاية التشدد في حال (تعدد الزوجات) في حين يخفف كل التخفيف في حال (تعدد الخليلات)! فهو لا يعاقب إلاّ من زنى في منزل الزوجية وأكثر من مرة، وبإمرأة معدة لذلك[٣]!! فالغرب له دينه وفكره وقيمه ولنا ديننا وقيمنا وفكرنا النابعه من عقيتنا ولسنا ملزمين بأن نسير وراء الغرب لأن له فلسفته في الحياة ونظرته العامة إلى الوجود وإلى الله والإنسان، وفكرته عن الدين والدنيا والتاريخ وكل هذا مخالف لفلسفة

(١) المرجع السابق نفسه ١/٧٠.
(٢) أنظر أخلاقنا في الميزان: د. فاطمة عمر نصيف، ص ٨٦، دار المحمدي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
(٣) أنظر شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، د. يوسف القرضاوي، ص ١٤٣، مكتبة وهبة، شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة، ط٥، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

المسلمين وفكرتهم، وإذا استمر اتباع المسلمين للسياسة الغربية في كل مناحي حياتنا ومظاهرها فسوف يأتي يوم تصبح فيه الإباحية هي القاعدة كما ظهر جلياً في هذا العصر، الذي أصبحت فيه الأخلاق الفاضلة هي الاستثناء، وقد حاربت الشريعة الدوافع التي تدعو للجريمة، وسوء الأخلاق بالدوافع التي تصرف عن الجريمة وهذا في كل الجرائم والتي لا يسع المجال لتفصيلها.

إن مفهوم الأخلاق الإسلامية يدل على مجموعة من المعايير والأحكام النابعة من تصورات أساسية عن الكون والإنسان والحياة والإله كما صورها الإسلام. وتتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والإجتماعية ،بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته ،والتى تتجسد من خلال الإهتمامات والإتجاهات أو السلوك العملى أو اللفظى ،بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ،وهذه الأهداف مستقاة من القرآن والسنة النبوية المطهرة[1].

إن للأخلاق الإسلامية منهج تطبيقى عملى، فقد طبقه المصطفى في نفسه ومع غيره ،وأحبه أصحابه حبا صادقاً ،حتى دعاهم ذلك الى تقديره وإجلاله ،وتقديم قوله على قولهم، وفعله على فعلهم، ورأيه على رأيهم، بل وصلت بهم أخلاقهم الى أعلى الدرجات، فيقدم الرجل حاجة أخيه على نفسه، ويؤثر بعضهم بعضا حتى وصفهم الله سبحانه بقوله (سورة الحشر الآية ٩) لذلك تتجلى منزلة الأخلاق الإسلامية ومكانتها فيما يحل بالأمم من دمار وهلاك إذا هجروا الأخلاق الإسلامية.

المطلب الثاني

ثمرات وفوائد حسن الخُلُق

تظهر مكانة الأخلاق في الإسلام من المنزلة العظيمة التي حظي بها المتخلق بالأخلاق الإسلامية ،حيث يحصل له من الأجر الجزيل والثواب الكثير ،والمنزلة الرفيعة ما لا يحصل لغيره . و من ثمرات وفوائد حسن الأخلاق ما يأتي:

(١) علم الأخلاق الإسلامية والتربية، على خليل أبو العينين ،ص ٣٤ مكتبة إبراهيم الحلبى ،المدينة المنورة ،السعودية ،١٩٨٨م.

١. رضا الله ومحبته والفوز بالجنة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩]، هذه الآية تبين فضيلة الصدق، وهي تجعل الله يرضى عن العبد، وتجعله في جوار الله ورسوله في حديثه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب) (١) وقال صلى الله عليه وسلم عن عبدالله بن عمرو قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من أحبكم إلىّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً) (٢) ومحبة الله نجدها محققة في كل فضيلة ليس فقط الصدق، فالإحسان مثلاً يقول تعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥]، والعدل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [المائدة: ٤٢]، والتقوى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٤]، والصبر ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، والتوكل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، التوبة والطهارة الحسية والمعنوية ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٢. الأمن يوم الفزع الأكبر والسعادة عند الموت:

قال تعالى: ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

٣. محبة الناس والقبول في الأرض وتحويل العدو إلى صديق:

إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر أحباؤه وقل أعداؤه، قال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/١٨٨.
(٢) اخرجه الترمذي، كتاب البر والصلة، حديث رقم ١٩٧٥.

وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥]. ولم تقتصر محبة الله على الإنسان الذي يتخلق بأخلاقٍ القرآن بل حتى جميع هذه مخلوقات الأرض تحبه كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال: أني أحب فلاناً فأحبه، قال: فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول: إن الله يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أخل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض)[١] بعكس الذين يبغضهم الله من إنس وجن وملائكة وحتى الجمادات قال تعالى: ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [الدخان: ٢٩].

وقال ابن القيم رحمه الله في بدائع الفوائد: (أجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين تقوى الله وحسن الخلق، لأن تقوى الله تصلح ما بينه وبين خلقه، فتقوى الله توجب له محبة الله وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته)[٢]. وقال أيضاً في مدارج السالكين: (الدين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين)[٣] وهو دليل على كمال إيمان العبد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)[٤] وفوائد وثمرات حسن الخلق لا تحصى ولا تعد إذا تتبعنا في القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة.

أخيراً نذكر منها أن حسن الخلق سبباً لتأييد الله ونصره لعباده، وهذا يتضح جلياً في نصرة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته التي بدأت بنزول الوحي عليه وقد كان صعباً عليه في البداية حتى ذهب للسدة خديجة رضي الله عنها يتفصد عرقاً في الليلة الشاتئة وقال لها: (لقد خشيت على نفسي، فقالت: كلا، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، وإنك لتحمل الكَلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف،

(١) أخرجه مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٦/١٨٤.
(٢) بدائع الفوائد ،ابن قيم الجوزية محمد بن أبى بكر ، ص ٧٥ ،دار الكتاب العربى مصورة عن المنيرية،(بدون).
(٣) مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين : ابن قيم،محمد بن أبي بكر ، ٢/٢٩٤.
(٤) أبو داود، كتاب السنة، حديث رقم ٤٦٨٢، والترمذي، كتاب الصنائع، حديث رقم ١١٦٢.

وتعين على نوائب الحق)[1].

وعلق الإمام النووي على هذا الحديث قائلاً: (إن معنى كلام السيدة خديجة رضي الله عنه "أنك لا يصيبك مكروه، لما جعل الله فيك من مكارم الأخلاق، وكريم الشمائل، وذكرت ضروباً من ذلك، وفي هذا دلالة على أن مكارم الأخلاق، وخصال الخير سبب السلامة من مصارع السوء)[2].

(١) متفق عليه، البخاري، كتاب بدء الوحي، حديث رقم ٤، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، من حديث عائشة، حديث رقم ١٦٠.
(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، ٢٠٢/٢.

المبحث الرابع

أهمية القيم الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع

المطلب الأول

القيم الأخلاقية في بناء الفرد

إن بناء الفرد خير وسيلة لبناء خير مجتمع، وبناء خير مجتمع وسيلة لبناء خير حضارة، والغاية من هذا كله تحقيق سعادة عامة وشاملة في المجتمع، ولتكوين فرد خير لابد من عناصر أساسية.

أولاً: تكوين روح الخير فيه بحيث يلتزم السلوك الخّير ويسعى لتحقيق الخير للناس ما أستطاع إلى ذلك سبيلاً كما يلتزم بتجنب سلوك الشر ويعمل ليحول دون وقوعه من أحد على أحد. أي تكوين روح الإلتزام به، ومن ثم فإن الشخص الذي يلتزم بالخير لا يلتزم عن تكلف وتصنع إنما يلتزم برغبة أكيدة منه وعن حب وتقدير له، ويتجنب الشر لا خوفاً ولا قهراً إنما لاشمئزاز منه وكره له. وبهذه الروح ربا الله سبحانه وتعالى عبادة الراشدين بقوله: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧]. ومن ميزان هذه الروح أنها لا تلتقي بالسعي لفعل الخير والوقوف أمام الشر عن حب ورغبة بل تسعى لتعليم الخير للناس. وعلى هذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشجع الأخيار قائلاً: (أن الملائكة وأهل السماء والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت يصلون على معلم الناس الخير)[١] وقال أيضاً: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[٢]. وأنه لا يقتصر إحسانه لمن يحسن إليه أو يعرفه بل إلى من يحسن لمن عرفه ولمن لا يعرفه حتى من أساء إليه، ولهذا يشجع الله سبحانه وتعالى عباده في الكثير من الآيات فقال تعالى: ﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٨]، ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ

(١) سنن الترمذى، ٥٥/٢٢، حديث رقم ٢٦٨٥.
(٢) صحيح مسلم: ١٥٠٦/٣، كتاب الأمارة.

أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا * وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٨-٩]، ﴿ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [الرعد: ٢٢]، زمن يفعل إلاّ الخير لذلك لا يقول إلاّ الخير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من كان يومؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[١].

ثانياً: تكوين روح الأخوة الإنسانية:

بمعنى أن الإنسانية تقتضي أن ينظر الإنسان إلى جميع الناس كنظرته لنفسه لأنهم مثله لا فرق بين جنس أو لون ، بل كلهم سواسية، وخلقوا من أصل واحد، كلهم لآدم، ولكل إنسان بناء على هذه الخلقة الأصلية كرامة إنسانية يجب إحترامها قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٢]. ولا يصح أن يسخر قوم من قوم بموجب هذه المساواة في الكرامة الإنسانية.

ثالثاً: تكوين الوعي بوحدة الحياة الاجتماعية:

إن الفرد في المجتمع إذا أراد أن يحافظ على صحته لابد أن يراعي صحة وسلامة المجتمع من حوله، وإن أي خلل يؤثر في جسمه يؤثر في المجتمع جميعه، وقد رسم الإسلام منهج متكامل للمحافظة على صحة الإنسان الجسمية والروحية والعقلية والنفسية، لذا لابد من تعليم كل أفراد المجتمع وتعليم الأطفال منذ الصغر في النظرة إلى المجتمع لأنه جزء منها وإن الأخلاق هي الرابطة بين أعضاء الجسم إذا شبهنا المجتمع بالجسم والأفراد بالأعضاء، وقال عليه السلام: (مثل المؤمنين في

(١) صحيح مسلم: ٦٨/١، كتاب الايمان.
(٢) اللؤلو والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان، كتاب الايمان ١٠/١.

تؤادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1]. وإذا سلك الشخص سلوكاً غير أخلاقي فإن ضرره لا يقتصر عليه وحده بل يؤثر في جميع أفراد المجتمع فمثلاً السكر (شرب الخمر) يؤثر على ذريته، ويكون سبباً لارتكاب الجرائم الأخرى لذا سميت الخمر أم الخبائث، وكلما زادت مثل هذه الجرائم اللا أخلاقية في المجتمع كلما ضعفت روابط الأخوة في المجتمع، لذا قرر الإسلام مبدأ النصح في المجتمع، بأن ينصح كل فرد الآخر إذا رآه يخالف السلوك الأخلاقي، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)[2] وكذلك أهم مبادئه وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولابد من تكوين وعي لدى الأفراد بأن المصالح العامة مشتركة بين أفراد المجتمع، ولهذا يجب أن يشجع الأفراد بعضهم بعضاً على تنمية إمكانياتهم وقدراتهم المعنوية والمادية بدلاً من أن يحسد بعضهم بعضاً. ولابد من زرع روح التعاون بين أفراد المجتمع وهذا لا يمكن إلاّ بالتربية الأخلاقية، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، ولهذا حرم الإسلام كل الأخلاقيات الهدامة، ونهى عن التكاسل والضعف لأنهما من عوامل الضعف الاجتماعي، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يشجع كل فرد على العمل للنهوض بنفسه وبمجتمعه ونهى عن التسول، فقال عليه السلام: (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم)[3].

رابعاً: تكوين روح الخضوع للنظام الأخلاقي:

هذا العنصر ضروري لبناء الفرد والمجتمع، وعندما تكون هذه الروح لدى الأفراد تؤدي إلى تماسك وترابط المجتمع ووحدته. إن خضوع الأفراد طواعية

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والآداب، ٤/١٩٩٩.
(٢) صحيح مسلم، كتاب الايمان، ١/٧٤.
(٣) صحيح مسلم، ٢/٧٢٠، ومعنى مزعة لحم قيل يأتي ذليلاً وقيل يحشر بعظم وجهة دون لحمه.

للنظام الأخلاقي يؤدي أولاً إلى تطبيقهم له في السر والعلن لا خوفاً من السلطة ولا نفاقاً للمجتمع بل حباً لهذا النظام لأنهم يؤمنون به ويحبونه، يرى دوركايم أن في الأخلاق صفتين تدفعان إلى الخضوع لنظامه هما صفة الواجب وصفة الخير، فالأولى تضفي على الأخلاق السلطة الآمرية والثانية الجاذبية فالواجب هو الأخلاق بوصفها سلطة يتعين عليها إطاعتها لا لشئ إلاّ لانها سلطة فحسب، أما الخير فهو الأخلاق باعتبارها شيئاً طيباً يجذب إليه الإرادة ويثير الرغبة نحوه تلقائياً[1].

إذن روح الخضوع للنظام يتكون من عنصرين لهما أساس طبيعي في الإنسان باعتبارها من الميول الطبيعية وهذان العنصران هما حاسة للانتظام وحاسة أخرى للشعور بالسلطة الأخلاقية. وهذا يضع بالتأكيد حداً للميول المتطرفة ويحفظ الطاقة الإنسانية من أن تتبدد إذا أصبحت حرة من غير قيد. ولو حدث مثلاً أن فقدت القواعد الأخلاقية المتصلة بالحياة الزوجية سلطتها أو المطامع الاقتصادية أو غيرها لتولد في النفوس حالة من اليأس وخيبة الأمل ولظهرت الكثير من المشاكل في المجتمع حالات الانتحار وغيرها. لذا يجب تكوين روح الخضوع للنظام وذلك بالتعود على ضبط النفس وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدرب أصحابه على ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغضب مثلاً: (ليس الشديد بالصرعه وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)[2] وشجع الله سبحانه وتعالى على التحكم في نوازع الشح والبخل عند الضيق والحاجة. وعلى نوازع الانتقام عند القوة والانتصار فقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ودعا إلى التغلب على هذه النزعة الانتقامية بالإحسان إلى من أساء إليه فقال: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

(١) التربية الأخلاقية، دوركايم، ترجمة الدكتور السيد محمد البدوي، مكتبة مصر، القاهرة، بدون.
(٢) هداية الباري إلى ترتيب أحاديث البخاري، ١٠٧/٢، صحيح مسلم، كتاب البر والآداب، ٢٠١٤/٤.

وكذلك الإسلام وضع علاج لمشكلات الذين لايخضعون للسلطة ولا لهم رغبة في الخير وذلك بإستخدام أسلوب الترهيب فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٣]، وبالترغيب في الخير والثواب فقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧].

خامساً: روح التعلق بالمجتمع:

لا يمكن أن تنجح حياة الفرد إذا عاش حياة العزلة، ويقول الغزالي: (لا خير في عزلة من تحنكه التجارب، فالصبي إذا اعتزل بقي غمراً جاهلاً.. إلى أن وصل إلى قوله يجب أن يعيش مع الناس والمجاهدة في تحمل أذاهم كسراً للنفوس وقهراً للشهوات وهي من الفوائد التي تستفاد بالمخالفة وهي أفضل من العزلة في حق من لم تتهذب أخلاقه)[١].

وكما يقول علماء النفس إن الكثير من الأمراض النفسية والقلق مصدرها العزلة، وانقطاع علاقة الفرد بالمجتمع وتعلقه بالجماعة أحد أسباب الانتحار. إذن بروح التعلق بالمجتمع يكتمل نمو الفرد، ويزداد تعرض المرء لخطر الانتحار كلما انفصمت العُرى التى تربطه بجماعة أيّاً كانت[٢].

المطلب الثاني

بناء المجتمعات

إن الأخلاق أساس لبناء المجتمعات الإنسانية المسلمة، وغير المسلمة، وهذا ما تشهد به الآيات القرآنية قال تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر: ١-٣]، فالعمل الصالح المبني على الإيمان، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والخطوب من

(١) احياء علوم الدين، الغزالي، ٢/٢٣٨.
(٢) الصحة النفسية، د. مصطفى فهمي، ص ١٩، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٦٧م.

شأنه أن يبني مجتمعاً محصناً لا تناله عوامل التردي والسقوط قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

يقول مارتن لوثر: (ليست سعادة البلاد بوفرة إبرادها ولا بقوة حصونها ولا بجمال بنائها، وإنما سعادتها بعدد المهذبين من أبنائها، وبعدد الرجال ذوي التربية والأخلاق فيها).

لذا نلاحظ كيف ربى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على حسن الخلق والتهذيب حتى يبنوا دولة الإسلام. والأخلاق الإسلامية تسهم في بناء مجتمع واحد بعيد عن التمزق كما قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، مجتمع تسوده روح المحبة والتعاطف والتكافل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مثل المؤمنين في تؤادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[١] وقال كذلك (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)[٢]. مجتمع يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، مجتمع يؤمن بالعبودية الحقه لله ويسعى للقيام بواجب الخلافة في الأرض قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. إن القيم الأخلاقية الإسلامية تلعب دوراً مهماً في صناعة المجتمع وتنميته، وقد يكون المجتمع قوياً سليماً من الآفات والأمراض النفسية إذا أعد وفقاً للقيم الأخلاقية التي حددها الخالق جل وعلا، ويكون المجتمع مشوهاً وفاسداً إذا أعد وفقاً لقيم أخلاقية وضيعة قاصرة عن تلبية

(١) صحيح مسلم،كتاب البر والصلة والأدب ،باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ، حديث رقم ٦٥٨٦ ص١١٣١ .
(٢) البخاري، في الاعيان، باب علامة الايمان.

مطالب النفس البشرية بل الإنسانية بشكل عام[١].

وبتناولنا للعناصر الأساسية لتكوين الفرد في المجتمع نلاحظ أن التشريعات التي جاءت في القرآن الكريم ذات صبغة إجتماعية، والهدف منها صياغة الحياة على مدى العدل والمساواة والحق، التي جاء بها الإسلام والمجتمع الذي تسري فيه هذه القيم لا يقف عندها فقط بل يتعداها عملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فر الله عنه كربة من كرب يوم القيامة)[٢].

والحق أن المنهج التربوي الإسلامي مترابط الأجزاء، تتشابك فيه العقيدة مع العبادات، وهذه مع القيم الأخلاقية الإسلامية، والكل يعطينا المجتمع المسلم الفاضل[٣].

النظام الاجتماعي في الإسلام عميق الأثر في تشكيل المسلم وبنائه اجتماعيا، وإعداده لحياة طيبة في مجتمع يسعى إلى الأفضل، وينشد التطور ويعمل على تربية المجتمع نحو سلوكيات مرغوبة. فالقيم الأخلاقية الإسلامية تضبط السلوك داخلياً، بينما الحدود والعقوبات تمثل الضبط الخارجي، بحيث يضمن المجتمع أفراده من خلال قدراتهم وميولهم بحيث تكون للفرد شخصيته وذاتيته وحريته بحيث يكون قادراً بإرادته على التزامه نحو مجتمعه وعقيدته بما يحققه التعاون والبر، والإحسان والعدل[٤].

وبناء على ذلك يرى معظم الفقهاء ترجيح مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد دون إهدار الفرد حقه تماماً[٥].

(١) القيم الأخلاقية ارتباطها ببناء المجتمع والحضارة، د. الرضي جادين الإمام، ص ٨٩، المؤتمر العلمي الثالث، تأصيل العلوم الدوافع والتحديات، جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم الخرطون، ١٤٣٦هـ ٢٠١٤م.

(٢) صحيح مسلم، تحريم الظلم وخذله، ٤٣٦/١٢.

(٣) القيم التربوية في الإسلام، محمد أبو عاقلة الترابي، ص ٩٨، مجلة المنبر، الخرطوم، ٢٠٠٩م.

(٤) مدخل إلى إسلام التربية، عباس محجوب، ص ٤٥، مجلة تفكر ، المجلد ٢ العدد ٢ معهد إسلام المعرفة (إمام) جامعة الجزيرة، السودان، ٢٠٠٠م.

(٥) رد المحتار علي الدر المختار، محمد أمين بن عمربن عبد العزيز عابدين، ٣٥٢/٥، دار إحياء التراث العربى ،مؤسسة التاريخ الطبيعى للطباعة والنشر ،بيروت،لبنان،ط١٤١٩،١هـ/ ١٩٩٨م.

ودعا الإسلام إلى عدم التفرق قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين لرأب الصدع في البناء الاجتماعي، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ٩]، وإذا كانت الروح الأخلاقية المنبثقة من الدين استقرت في نفوس الناس، ستصبح طاقة فعالة تدفع كل انسان لأن يبذل ما عنده ليكون سباقاً للخيرات لقوله تعالى: ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ [البقرة: ١٤٨]، وكذلك يسرع لإزالة الشرور في المجتمع، وذلك بعد أن يكف شره عن غيره، ومن ثم تزول الشرور والجرائم التي تعوق التقدم الاجتماعي، ونلاحظ كيف تخسر الدول بسببها الأموال الباهظة بسبب نفقات التقاضي والسجون.

المبحث الخامس

وسائط ووسائل تنمية الأخلاق الإسلامية

المطلب الأول

وسائط تنمية الأخلاق في الإسلام

بعد أن تناولنا أسس وخصائص الأخلاق في الإسلام، وأشرنا إلى أن هنالك ثمرات وفوائد لحسن الخلق، وتعرضنا إلى أن هنالك فروقاً فردية في القدرة على الإلتزام الأخلاقي. نصل إلى أن فلاح الإنسان في تزكية نفسه بإلزامها بالأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشمس: ٧-١٠]. ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآيات: "قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرزائل، ومن دساها أي دسها وأهملها ووضع فيها بخذلانه أياها عن الهوى"(١). إن أول الوسائط هو تزكية النفس (هذا يتم بالعقيدة الصحيحة، واقامة العبادات، ثم لزوم الجماعة المسلمة).

ذكر في كتاب النفس الإنسانية في القرآن لإبراهيم سرسبق: "كل النفوس قد زودها خالقها باستعدادت فطرية للنزوع للخير والشر، وعلى النفس أن تختار أن يكون لها أو عليها نتيجة الكسب أو الاكتساب فيما تختار، وقد أقسم الله تعالى بهذه النفس مورداً إياها في صفة التنكير المفيدة للعلوم، ومعنى هذا أن عامة النفوس قد زودها الله تعالى بهذين النجدين نجد الخير ونجد الشر، ثم إن النفس قد تصعد في اختيارها أو تهبط، قد تصعد من هذا المقام، مقام المجاهدة والمكابدة والتردد واللوم إلى منحدر الأدنياء ذوي النفوس الأمارة"(٢).

إن جهاد النفس مقدم على جهاد العدو في الخارج، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم عندما رجع من إحدى غزواته "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد

(١) تفسير ابن كثير: ٥١٦/٤.
(٢) النفس الإنسانية في القرآن الكريم، إبراهيم سرسيق، ص ٨٩، تهامة، جدة، ط١، ١٩٨٠م.

الأكبر"[1]. إن الإنسان ما لم يجاهد نفسه لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه، لا يمكنه جهاد عدوه في الخارج. فكيف يمكن جهاد عدوه والانتصاف منه، وعدوه الذي بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه في الله، بل لا يمكنه الخروج إي عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج[1].

فعلى المسلم أن يجاهد نفسه والارتقاء بها، من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة التي تلوم صاحبها على فعل المنكرات إلى النفس المطمئنة، من أجل هذا يعيش المسلم عاملاً دائماً على تأديب نفسه وتزكيتها وتطهيرها إذ هي أولى من يؤدبها فيأخذها بالآداب المزكية لها والمطهرة لأدارنها، كم يجنبها كل ما يفسدها من سئ المعتقدات و فاسد الأقوال والأفعال، يجاهدها ليل نهار و يحاسبها في كل ساعة، يحملها على فعل الخيرات و يدفعها إلى الطاعة دفعاً كما يصرفها من الشر والفساد صرفاً لتطهر وتزكو"[2].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [سورة ق: ١٦]، لقد أكد القرآن أن الله يعلم خفايا الصدور، وأنه سلك أنجح الوسائل لتهذيب النفس والإرتفاع بها إلى مدراج الكمال. لذلك عمل السلف على اقتلاع خواطر السوء وتأسيس اليقين والإيمان والإحساس الدائم برقابة الله سبحانه وتعالى ومحاسبته. فالوسيلة الأولى التي أتبعها القرآن الكريم للوصول إلى هدفه هي التربية الفردية للنفس البشرية وترويضها على مكارم الاخلاق.

إن اول الخطوات في العقيدة الصحيحة التي تضبط أخلاق وسلوك الإنسان وهو المحور الأساسى الذي تدور حوله جميع الأوامر و الإرشادات هو :

أولاً: الإيمان بالله واليوم الآخر: لأن الإنسان حين يتذكر وقوفه بين يدي الله يوم البعث والجزاء، يحدث الانفعال النفسي في نفس الإنسان فيفكر في مصيره ويكون

(١) زاد المعاد ،لابن القيم الجوزية ،محمد بن أبي بكر شمس الدين، ١/٣٩، المطبعة المصرية ١٣٧٩هـ.

(٢) منهاج المسلم، أبوبكر جابر الجزائري، ص ٧٣، المكتبة التوفيقية للطباعة والنشر والتوزيع، (بدون).

همه طلب مرضاة الله والخشية منه والخوف من عقابه، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]. فهذا خير وسيلة لتهذيب النفوس وتزكيتها . قال محمد المبارك(أن الناس يختلفون فيما يحركهم من هذه العواطف، وأعلاها من كان حافزه ارضاء الله. وقد خاطب القرآن الناس على اختلاف طبقاتهم – فمنهم وهم الأكثرون – إنما يحركهم الخوف من المصير الشقي والرغبة في المصير السعيد، ومنهم – وهو الأقل – فمن يعملون لوجه الله و إرضاء له)[1] ويقول القرضاوي في كتابه العبادة في الإسلام (إن الأخلاق الربانية باعثها و دافعها هو الإيمان بالله وطلباً لما عنده كقوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]. ويكشف القرآن عن حقيقة بواعثهم وطوايا نفوسهم فيقول معبراً عن لسانهم ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩-١٠].

ثانياً العبادات:

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، إن المفهوم الشامل للعبادة هو أن يجعل الانسان نية أعماله جميعها خالصة لله والعبادة جزء مهم لا بد من القيام به على الوجه الأمثل حتى تحقق هدف العبادة ووظيفتها فالعبادة ليست من وسائل التربية الروحية فقط، ففيها التربية الجسمية والاجتماعية والخلقية والجمالية و العقلية، فهي حق على الله عبادة ، يجب أن تؤدي امتثالاً لأمر الله، و أداء لحقه على عبادة، شرعها الله تعالى لصحة الإنسان كالأدوية لصحة بدنه.

فمثلاً الصلاة : تربط الانسان بالله، كما أنها تقوي إرادة الإنسان وتعودة على ضبط النفس والصبر والمثابرة قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ

(١) نظام الإسلام العقيدة والعبادة، محمد المبارك،ص ١٥٤،دار الفكر ،بيروت، ط ٤ ،١٩٧٥م.

وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، كما تعلم النظام والدقه في حفظ المواعيد.

وفي الصوم: تربية خلقية لا تربية للروح، حيث يتعود الإنسان على ضبط نفسه ومكافحة شهواته، وبذلك تقوى الإرادة يقول تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وبالنسبة للتربية الخلقية، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم)[١].

وفي الزكاة: إن القرآن نظم هذه الفريضة وجعل لها هدفاً في غاية السمو فيها تربية روحية وخلقية فعن طريقها يتعلم الإنسان طاعة الأوامر الإلهية ومكافحة الأنانية، والافراط في النزعة المادية والفردية[٢].

وفي الحج: تطهير النفس من آثار الذنوب ليصبح إنساناً أهلاً لكرامة الله تعالى في الدار الآخرة، ويعلم الصبر والمصابرة واحترام الغير في هذا الاجتماع الجامع، ويعلم التعاون وحسن الخلق والأدب، وحفظ اللسان مع الله ورسوله وخلقه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)[٣].

ثالثاً: لزوم الجماعة المسلمة:

للجماعة المسلمة أثر كبير في تقويم أفرادها واصلاحهم، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر من الانفراد عن الجماعة. ونجد أن النبي صلى الله عليه وسلم ربى أصحابه تربية جماعية وهذه كانت نواة للمجتمع الإسلامي الأول الذي جعله الشارع رقيباً وحارساً ومحاسباً وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر. قال

(١) سنن أبي داؤد، كتاب الأدب، حديث رقم ٤٧٩٨، وصححه الألباني في الصحيح الجامع، ١٦٢٠.
(٢) تربية الإنسان الجديد: محمد فاضل الجمالي، ص ١٣٥، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٦٧م.
(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى،أحمد بن على بن حجر العسقلانى،كتاب الحج،باب فضل الحج المبرور،حديث رقم ١٥٢١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،(بدون).

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فالجماعة تملي على من ينضم إليها أن ينضبط في فضائل الأخلاق وتحاسب الفرد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم يلعنكم كما لعنهم)[1].

المطلب الثاني

وسائط تنمية الأخلاق

إن وسائط تنمية أو اكتساب القيم الأخلاقية متعددة، وسنتناولها في هذا المطلب ونبين دورها في المجتمع الإسلامي المعاصر، فالوسط هو الذي تنمو فيه الشخصية وتترعرع وهي التي تؤثر في أفكاره ومعتقداته ومهاراته ودوافعه، كما تحدد له القيم والمعايير التي يسترشد بها. أولها:

١. الأسرة:

الأسرة هي الوعاء الاجتماعي الذي يتلقى فيه الطفل معلوماته ويتعامل مع أفرادها، ويشعر بالإنتماء إليه، ولذلك يكسب الطفل أولى عضوية له في جماعة، ويتعلم منها كيف يتعامل مع الآخرين في سعيه لإشباع حاجته وتحقيق مصالحه من خلال تفاعله مع أعضائها.

(١) سنن أبي داؤد، ٤٣٦/٢.

أن الإسلام ركز على التربية الأخلاقية للصغير منذ الرضاعة، وركز الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين على أهمية أخلاقيات المرضع وأثر لبنها على أخلاقيات الطفل فيقول: (ينبغي أن يراقب من ولي أمره فلا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلاّ أمراة صالحة متدينة تأكل الحلال. فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشؤ الصبي انعجنت طينته من الخبث فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث)[١].

وللأم دور كبير في تحقيق التربية الأخلاقية للطفل منذ نعومة أظفاره: "إن سنوات المهد الأولى التي يمضيها الطفل في الأسرة تمثل سنوات الأساس في حياة الطفل، حيث توضع فيه أسس كثيرة من أنماط السلوك، وكثير من الاتجاهات نحو الآخرين والذات"[٢]. كذلك لها الدور في التربية العقدية الفعالة والمؤثرة على السلوك، فهي تزوده بشحنات إيمانية مستمرة من قوة الخالق، وتدفعه إلى السلوك السوي، وتحرر نفس المسلم من الخوف على الحياة، والتقوى والأنانية والشح والجشع[٣]. وجميع الأخلاق الفاضلة والآداب الاجتماعية كآداب الأكل والحديث والزيارة، والصدق وتجنبهم الكذب وأن تكون قدوة وصادقة في تعاملها معهم، عن عبدالله بن عامر رضي الله عنه قال: (دعتني أمي يوماً ورسول الله قاعداً في بيتنا قالت: هاك تعال أعطيك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أنك لو لم تعطيه شيئاً كتبت عليك كذبة)[٤] وما يؤكد هذا الدور حديث النبي صلى الله عليه وسلم في التوجيه (ما من مولود الاّ ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)[٥]. وفي الحديث دلالة على أن التوجيه الأسري قد يكون في دائرة السلب أو في دائرة الإيجاب.

(١) أحياء علوم الدين: الإمام الغزالي، ٣/٧٨.
(٢) النمو من الطفولة إلى المراهقة، محمد جميل محمد/ ص ١٣٢، تهامة، جدة، ط٣، ١٩٨٣م.
(٣) دور المرأة المسلمة في التربية والتنمية البشرية، أ.د. محمد البشير محمد الهادي و د. عبد العاطي أحمد موسى فوال، ص ٩١ ، المكتبة الوطنية، الخرطوم، السودان، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
(٤) أخرجه أبو داؤد، كتاب الأدب، باب التشديد في الكذب، حديث رقم ٤٩٩١.
(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي، ١/٤٦٥، حديث رقم ١٣١٩.

أن الأخلاق الحسنة أو السئية تورث كما يورث المال، فالسعيد من ورث أبنائه الأخلاق الفاضلة، يقول سيد قطب في الظلال: (إن الوالدين والأجداد والأقرباء عامة لا يورثون أبناءهم وأحفادهم وأقاربهم المال وحده، إنما يورثونهم الاستعدادات الخيرة والشريرة، والاستعداد الوراثي للصحة والمرض والانحراف والاستقامة، والحسن والقبيح والذكاء والغباء. وهذه الصفات تلاحق الوارثين وتؤثر في حياتهم)[1].

٢. التعليم المدرسي:

المدرسة تستكمل ما بدأ في الأسرة لتتمه وتهذبه، وتقوم الاعوجاج الخلقي عند الناشئة. إنها بيئة تربوية مهمة جداً وقد ارتبطت التربية بالتعليم في المناهج الدراسية التي تشرف عليها وزارات التربية والتعلم في مختلف الأقطار.

وحتى تكون المناهج الدراسية ذات أثر فعال في التربية الأخلاقية فإنه ينبغي على أولي الأمر والقائمين على أمر التعليم أن يهيئوا المنهج الملائم الذي يتحقق من خلاله درء أي تناقض بين هذه المناهج والمناهج الأخرى الموازية من وسائل إعلام مسموعة ومرئية ومقرؤة، وما توجه إليه المساجد من توجيه، وأن تكفل التناسق بين هذه المناهج بحيث تنتقص الإزدواجية في التوجيه، حتى يكون المتعلمون من أمر دينهم على بصيرة[2].

٣. جماعة الأقران:

يشكل مجتمع الرفاق وسيطاً مؤثراً في التربية الخلقية، لذا يجب متابعة الأبناء للتعرف على رفاقهم وأصدقائهم، فقد يكون منهم أصدقاء سؤ، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً ﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء على دين خليله

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٢/٥٨٤، دار الشروق، بيروت، بدون.
(٢) الأخلاق في الإسلام: د. كايد قرعوش وآخرون، ص ٤٧، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط٤، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

فلينظر أحدكم من يخالل)[1]. إن كثيراً من صور الانحراف التي نشهدها منشؤها رفاق السؤ، وما جرائم الأحداث وانتشار المخدرات بخافيه على أحد، إذ يكون لـ (الشلة) من التأثير على أفرادها ما لاتحظى بمثله الأسر والمؤسسات التعليمية.

٤. المسجد:

كان المسجد ولا يزال شعار الحياة في المجتمع الإسلامي، ويدل على ذلك اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء المسجد أول قدومه إلى المدينة، نسبة لأهميته ليس لآداء الصلوات فقط بل له وظائف أخرى، لخص منها محمود المصري في كتابه – من أخلاق الرسول) الآتي:

- نشر العلم والتعاليم الدينية.
- امداد الأفراد بالسلوك القائم على حب العمل الصالح وكراهة الكفر بالفسوق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- تنمية الوازع الداخلي لترجمة المبادئ إلى سلوك عملي.
- دعم روح الأخوة وتربية القيم الخلقية الإسلامية.
- تذويب الصراع القائم بين الأجيال القديمة والجديدة، فالقدوة الصالحة تبرز من خلال المسجد.
- الإرشاد والتوجيه المستمرين تحت رعاية أئمة المساجد الداعين خاصة للالتزام بالقيم الأخلاقية الإسلامية.

٥. وسائل الإعلام:

تلعب وسائل الإعلام والاتصال المختلفة سواء مباشرة أو غير مباشرة دوراً حيوياً في تنشئة الأسرة وإحداث التأثير المطلوب بين أفرادها، ومن فوائدها التعليم والتثقيف والتوعية والإرشاد والترفيه. ولوسائل الإعلام أيضاً سلبيات كثيرة وقد أفرط الأفراد في التعامل معها فقد أخذت وقتاً كبيراً مما أخل بالواجبات

(١) سنن أبي داؤود، باب من يؤمر أن يجالس، حديث رقم ٤٨٣٣.

والمسؤوليات تجاه الأسر، وقد إحتلت وسائل الإعلام مركزاً بالغ الأهمية في حياة المجتمعات حتى أنها أصبحت في كثير من الأحيان بديلاً عن الكتاب بين مؤسسات التربية والتعليم.

إن الإعلام يعمل وفق مضامين غربية ومرجعيات غربية على مجتمعاتنا، الأمر الذي يوهن ويضعف ارتباط الناشئين بجذورهم ومرجعياتهم الأخلاقية والدينية، بجانب ميلهم لحياة افتراضية عن طريق التواصل مع المجموعات التي تنتجها مواقع التواصل الإلكترونية، والتي من المفترض أن تكون متوافقة مع ما يرتضيه المجتمع الإسلامي المنشود حتى يقوم بدوره المبني على القيم الأخلاقية الإسلامية الصحيحة الدافعة نحو التقدم والتحضر والتنمية، لذا لابد من مراقبة وسائل الإعلام والنظر بعين البصيرة من الأسرة والمجتمع والدولة حتى لا يبني الشباب قيمه وعاداته وأخلاقه وفقا لقيم مجتمعات أخرى.

أخيراً للمجتمع دور كبير في التوجيه الأخلاقي يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإذا تهاون المجتمع في هذا الأمر سوف يؤدي إلى التردي والسقوط، وخير مثال ما فعله المجتمع في صدر الإسلام الذي قاطع الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكان درساً بليغاً لهم.

ومسؤولية الدولة في التربية الأخلاقية تتجلى من خلال سلطاتها المختلفة تشريعاً وتنفيذاً. ورعاية الأخلاق العامة من أخص خصائص الدولة في الإسلام. وقال سيدنا عثمان بن عفان رضب الله عنه: (إن الله ليزغ بالسلطان ما لا يزغ بالقرآن) وقد كان لنظام الحسبة في الإسلام دور رائد في الحفاظ على الآداب العامة في مجال المعاملات وتوجيه السلوك العام، ويجب الاّ تعلق مسألة التردي الأخلاقي على الدولة بل يجب أن تكون هنالك مسؤولية فردية لكل شخص، وقديماً قيل (من ليس له من نفسه زاجر لا تردعه الزواجر).

خاتمـــة

الحمد لله الذي وفقني لإكمال هذا البحث والذي اتمنى أن أكون قد وفقت إلى تحقق أهدافه، ومهدت السبيل للتفكير أكثر في السنة النبوية الزاخرة والمليئة باللالئ والجواهر من القيم الرفيعة، والأفكار الرشيدة في شتى ميادين الحياة . وأسأل الله أن نفهم السنة كما فهمها الصحابة والإقتداء والتأسي بالرسول e لأنهم لم يفرقوا بين ما يصدر منه من باب العبادات والمعاملات والأخلاق وغيرها، ولا بين ما يفعله بوصفه رسولاً، بل كانوا يقتدون به في كل الأحوال.

وبما أن محور النظام الأخلاقي يهتم بالنواحي التربوية والاجتماعية فقد توصلت الدراسة إلى الأتي:

١. أن تعريف الخلق هو صدور الفعل بصورة تلقائية (وهو السجية) لا تتغير والخلق المكتسب أو التخلق يحتاج إلى رياضة وممارسة حتى يصير جزء من شخصية الفرد.
٢. إن النظام الأخلاقي له ضوابط وهي مستندة إلى العقيدة إذا ما قارناها بالنظام الأخلاقي الغربي، وله ثمرات كثيرة أهمها رضا ومحبة الله سبحانه وتعالى ورسوله والفوز بالجنة.
٣. تمتاز خصائص نظام الأخلاق في الإسلام بأنها إيجابية ووسطية ومثالية وشاملة وواضحة.
٤. النظام الأخلاقي في الإسلام على مستوى الفرد يشكل البناء النفسي والقيمي والروحي كما يعمل كوازع للفرد يوجهه نحو عمل الخير والإحسان ويضبط شهواته ويحقق له الأمان أمام ضعف النفس.
٥. أما على مستوى المجتمع فإنه يحقق له الاستقرار والثبات لممارسة حياة اجتماعية خيرة وسليمة، كما تحفظ كيان المجتمع في اطار واحد.

٦. إن أهم وسائط تنمية الأخلاق هي التوحيد واقامة العبادات أما الوسائل فتضم الأسرة والتعليم المدرسي والمسجد ووسائل الإعلام إذا وجهت الوجهة الإسلامية الصحيحة.

التوصيات:

يوصي الباحث بالآتي:

١. يجب على كل أحد أن يلتزم السلوك الأخلاقي الإسلامي لما فيه من فوائد وثمرات تعود عليه في الدنيا والآخرة، ولا يكتفي بهذا بل يسعى الفرد لتعليم الخير للناس عن حب ورغبة فيما عند الله.

٢. الاهتمام بوسائط تنمية الأخلاق على مستوى الأفراد بالتوحيد وإقامة العبادات ولزوم الجماعة المسلمة، وكذلك بالوسائل كالأسرة والتعليم والمسجد ووسائل الإعلام.

٣. إدخال النظام الأخلاقي الإسلامي بعمق في المقررات والمناهج كتربية أساسية وتعرض بطريقة جاذبة في جميع المراحل مقرونة بالشواهد من الآيات والأحاديث وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم العطرة.

٤. يجب أن نلفت نظر القائمين على أمر التربية في جميع مراحلها (آباء ومعلمون ووزارات التربية والتعليم والحكام) بأهمية اتباع النظام الأخلاقي الإسلامي وبذل الجهد في تحقيقه في جميع مناحي الحياة، وهذه مسؤولية الجميع.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. احياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، مؤسسة الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ١٩٦٧م.

٣. الأخلاق الإسلامية، عبد الرحمن حنبكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٧٩م.

٤. الأخلاق في الإسلام، د.كايد قرعوش وآخرون، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط٤، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م.

٥. أخلاقنا في الميزان، د.فاطمة عمر نصيف، دار المحمدي للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.

٦. الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، بيروت، دار الشروق، ط١٦، ١٩٩٢م.

٧. التربية الأخلاقية الإسلامية، مقداد يالجن، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، (بدون).

٨. التربية الأخلاقية، دوركايم، ترجمة الدكتور السيد محمد البدوي، مكتبة مصر، القاهرة، (بدون).

٩. تربية الإنسان الجديد، محمد فاضل الجمالي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

١٠. التشريع الجنائي، عبد القادر عودة، مكتبة العروبة، القاهرة،ط١٩٦٤،٢م.

١١. التعريفات، على بن محمد بن علي الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

١٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء اسماعيل بن كثير، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٩م.

١٣. تهذيب الأخلاق، أحمد بن مسكويه، من مشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (بدون)
١٤. تهذيب الأخلاق، الحافظ أبي عبد الرحمن عمرو بن بحر الجاحظ، علق عليه أبو حنيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث والنشر والتحقيق والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
١٥. الخصائص العامة والإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.
١٦. دور التربية الأخلاقية الإسلامية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة الإسانية، مقداد يالجن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
١٧. دور المرأة المعاصرة في التربية والتنمية البشرية، محمد البشير محمد الهادي وعبد الهادي أحمد موسى فوال، المكتبة الوطنية للنشر، الخرطوم، السودان، ط١، ١٤٣٣هـ ٢٠١٢م.
١٨. زاد المعاد، ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر شمس الدين، المطبعة المصرية، ١٣٧٩م.
١٩. سنن أبي داود، سليمان بن الاشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، (بدون).
٢٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق محمد شاكر وآخرون، دار احياء التراث العربي، بيروت، (بدون).
٢١. شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، شارع الجمهورية، عابدين، القاهرة، ط٥، ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٢٢. صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، جامعة دمشق، دار بن كثير اليمامة، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢٣. صحيح مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (بدون).
٢٤. العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٧، ١٩٨٥م.
٢٥. علم الأخلاق الإسلامية والتربية علي خليل أبو العينين،مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، السعودية، ١٩٨٦م.
٢٦. بدائع الفوائد، لابن القيم،دار الكتاب العربى مصورة عن المنيرية. (بدون)
٢٧. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت (بدون).
٢٨. اللؤلو والمرجان فيما اتفق عليه الشجعان، محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (بدون).
٢٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٢م.
٣٠. مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم.
٣١. المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني القاسم الحسين بن محمد ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، ١٩٦٨م.
٣٢. منهاج المسلم، أبوبكر جابر الجزائري، المكتبة التوفيقية للطباعة والنشر والتوزيع، (بدون).
٣٣. موسوعة من أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، محمود المصري أبو عمار، دار التقوى للنشر والتوزيع بشبرا الخيمة، ط١، ١٤٢٨÷ ٢٠٠٧م.
٣٤. ميزان العمل، محمد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
٣٥. النظام الأخلاقي في الإسلام، محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، ط٢، ١٩٦٨٦م.

٣٦. نظام الإسلام العقيدة والعبادة، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٤، ١٩٧٥م.
٣٧. النفس الإنسانية في القرآن الكريم، إبراهيم سرسيق، تهامة، ط١، جدة، ١٩٨٠م.
٣٨. النمو من الطفولة إلى المراهقة، محمد جيل محمد، تهامة، جدة، ط٣، ١٩٨٣م.